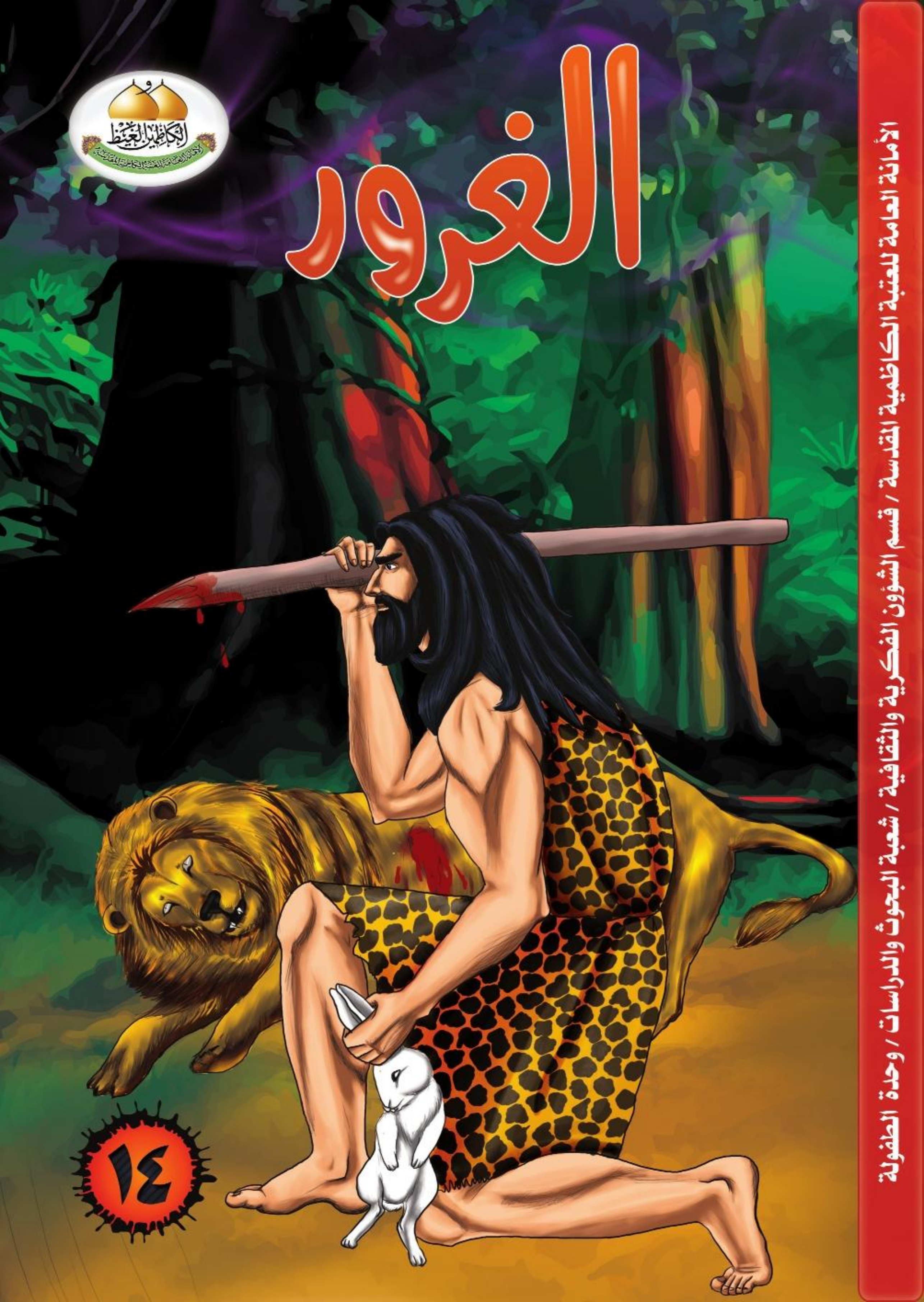

الكاظمين الغيظ
الغرور
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية / شعبة البحوث والدراسات / وحدة الطفولة
١٤



إن الكافرون إلا في غرور

صدق الله العلي العظيم

الغرور والإعجاب بالنفس حالة مَرَضية تعتري الإنسان بسبب الشعور بالتفوّق على الآخرين، والاعتداد بما عنده من قوة، أو مال، أو جمال، أو سلطة، أو موقع اجتماعي، أو مستوى علمي.

وتلك الظاهرة المَرَضية هي من أخطر ما يصيب الإنسان، ويقوده الى المهالك، ويورطه في مواقف، قد تنتهي به الى مأساة مفجعة، صوّرها القرآن بقوله:

﴿إنّ الانسان ليطغى ۞ أن رآه استغنى﴾.

وحذر من تلك الظاهرة في إيراده لوصية لقمان لابنه:

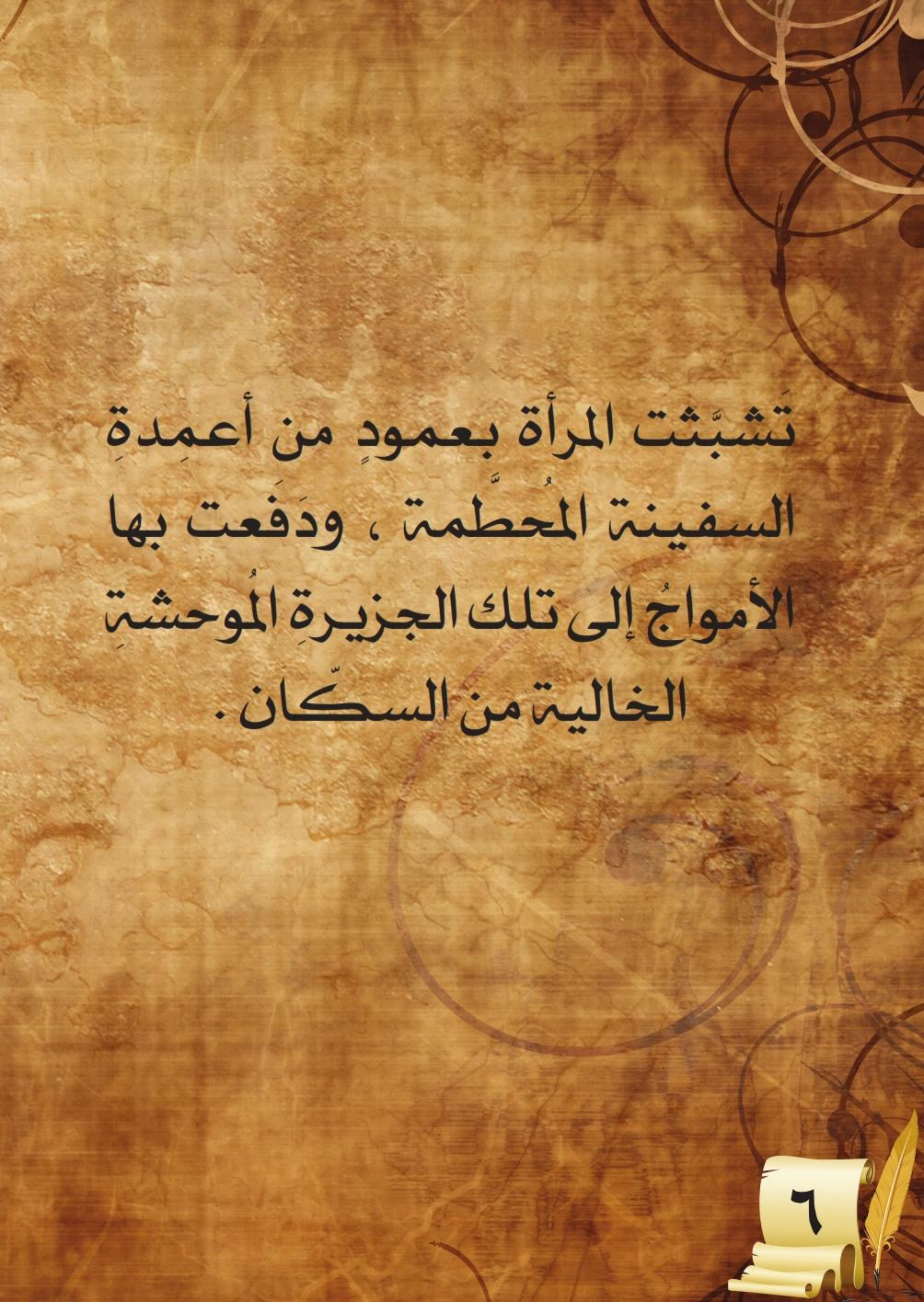
﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾.



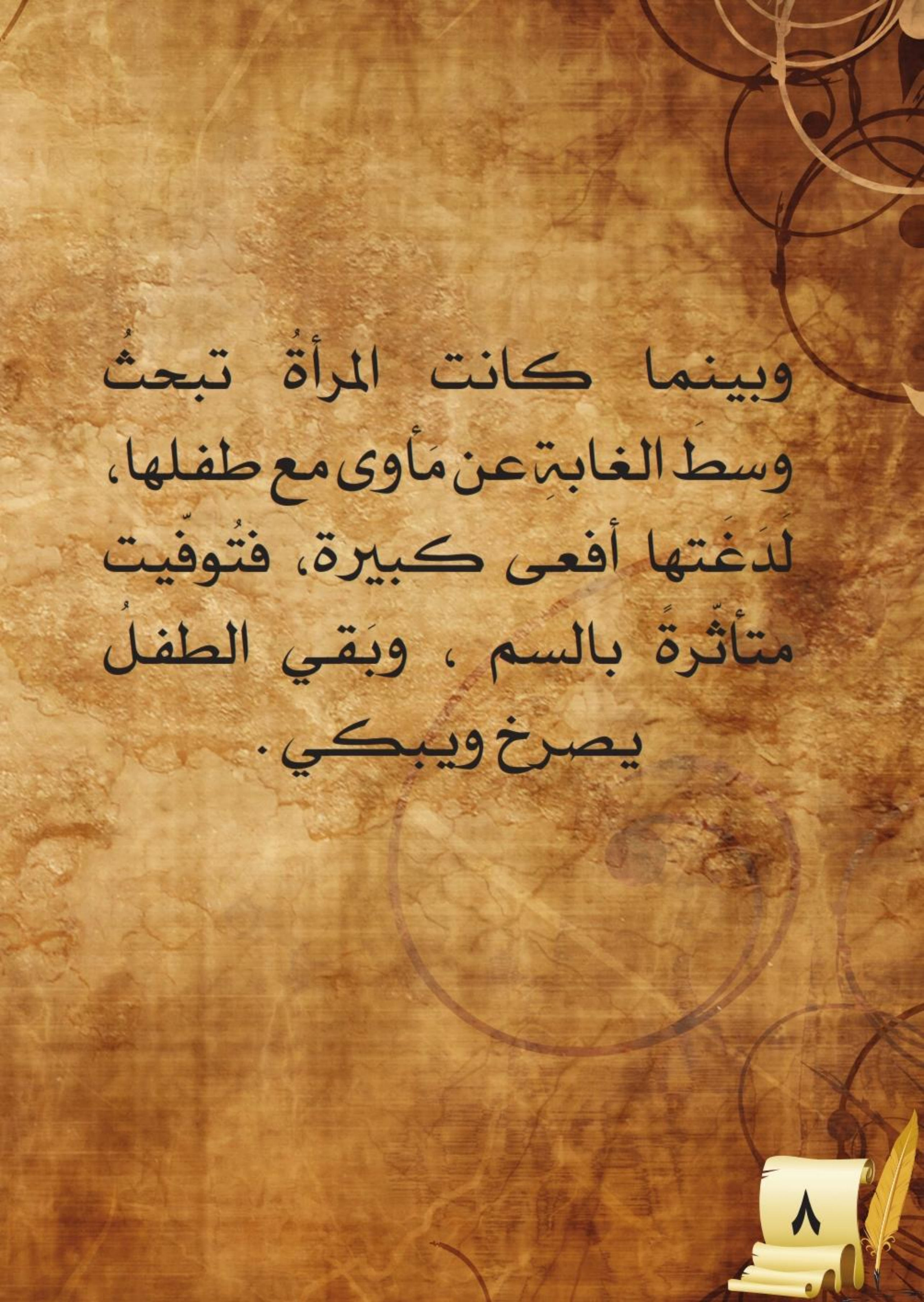
يُحكى أنّ عاصفةً قويةً ضَرَبت
إحدى السفن المسافرة ،وهاجت
أمواجُ البحر العاتية ، فتحطّمت
السفينة بالقرب من إحدى الجُزر
البعيدة ، ولم يَنجُ من المسافرين
سوى امرأةٍ مع طفلها الرضيع .





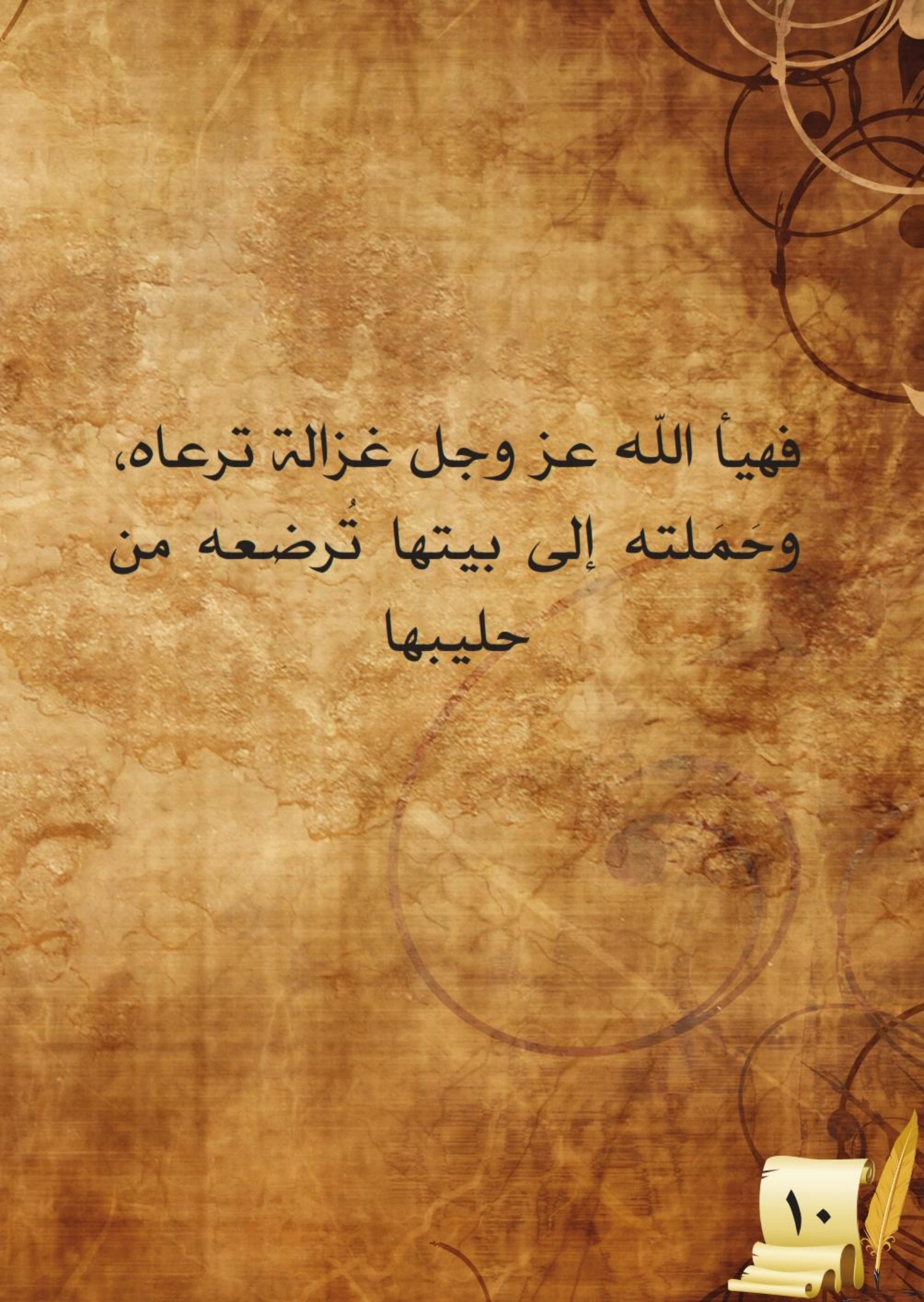
تَشبَّثت المرأة بعمودٍ من أعمِدةِ السفينة المُحطَّمة ، ودَفَعت بها الأمواجُ إلى تلك الجزيرةِ المُوحشةِ الخالية من السّكان .





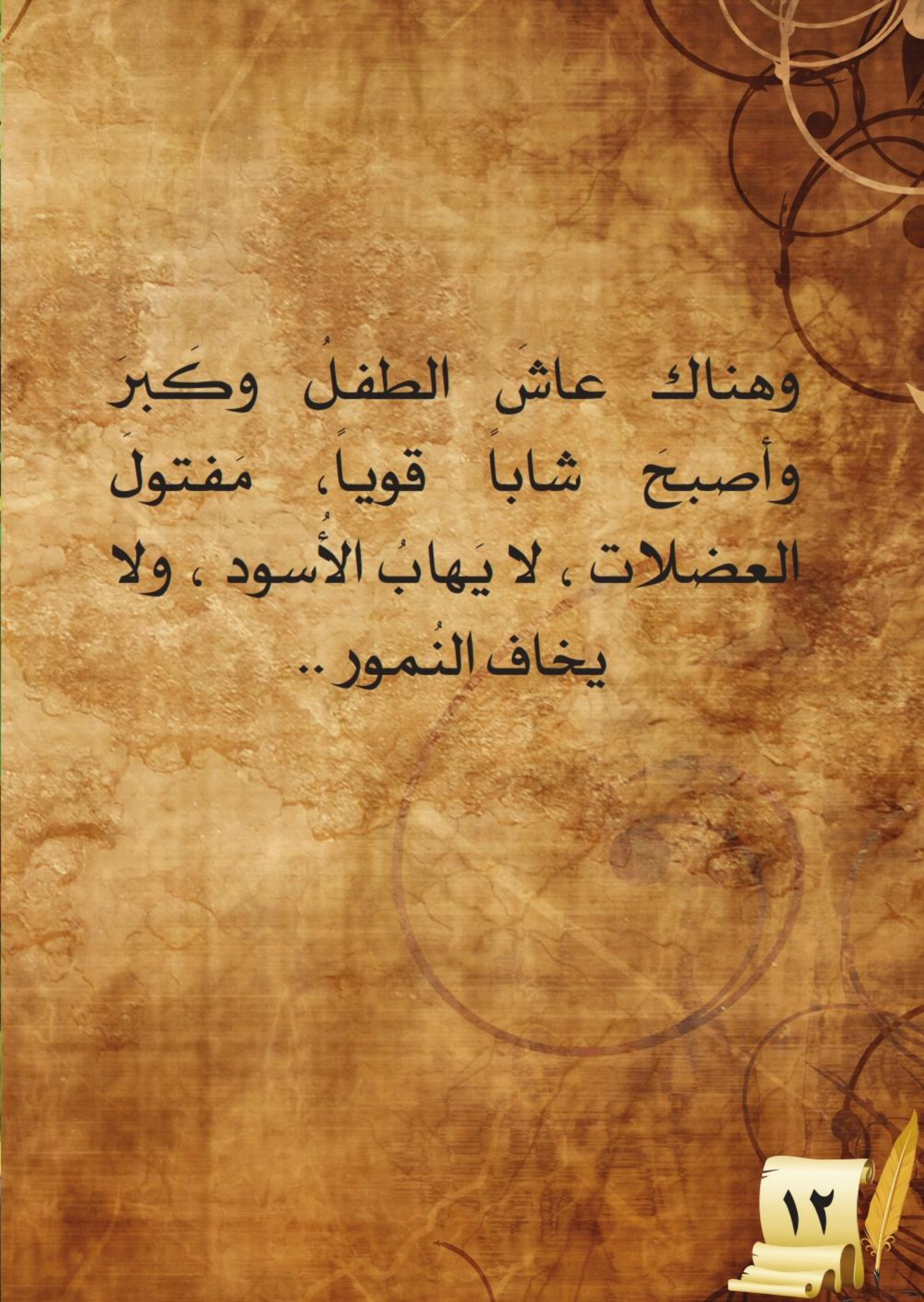
وبينما كانت المرأةُ تبحثُ وسطَ الغابةِ عن مَأوى مع طفلها، لَدَغتها أفعى كبيرة، فتُوفِّيت متأثّرةً بالسم ، وبَقي الطفلُ يصرخ ويبكي.





فهيأ اللّه عز وجل غزالة ترعاه، وحَمَلته إلى بيتها تُرضعه من حليبها



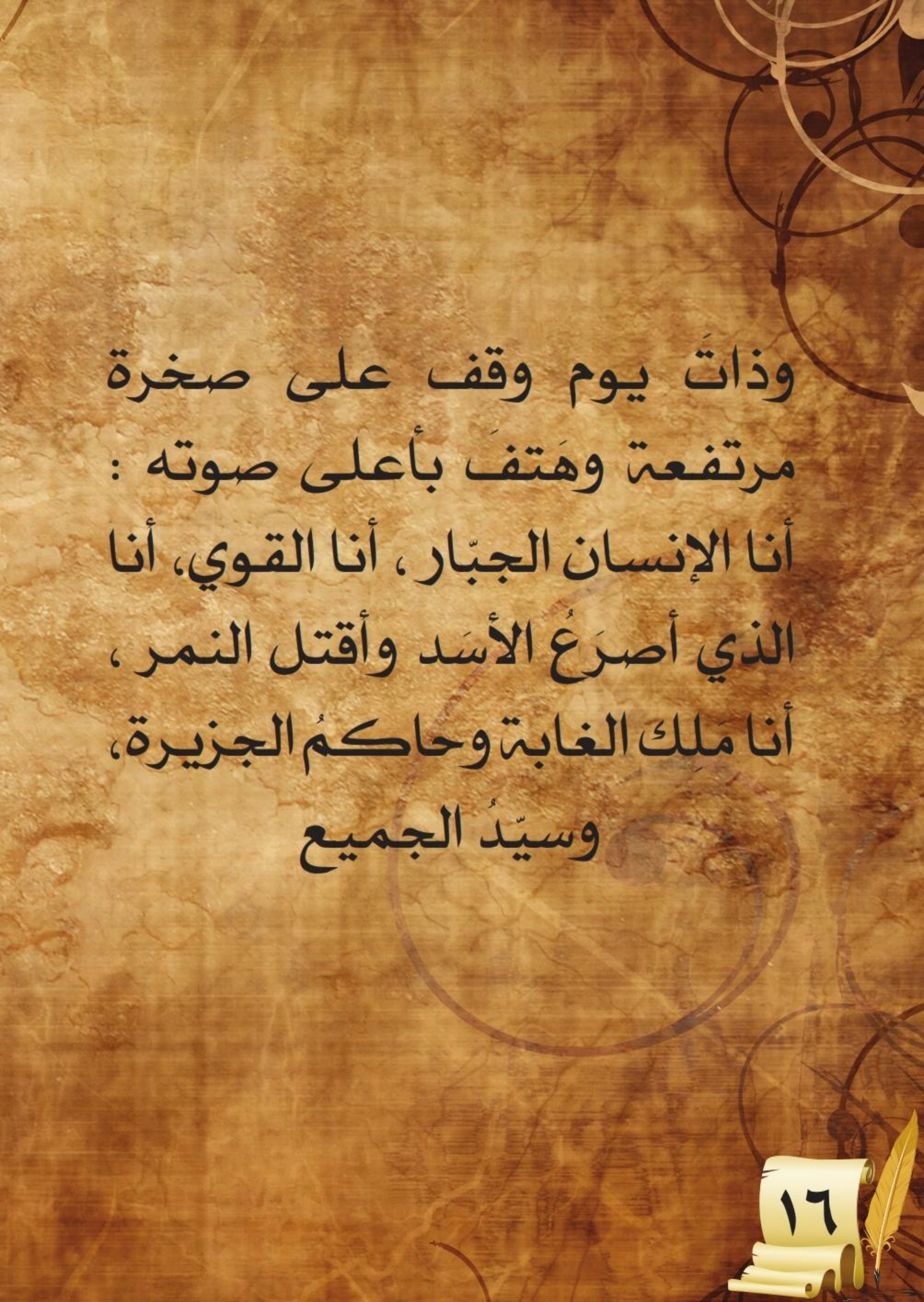


وهناك عاشَ الطفلُ وكَبرَ وأصبحَ شاباً قوياً، مَفتولَ العضلات ، لا يَهابُ الأُسود ، ولا يخاف النُمور..



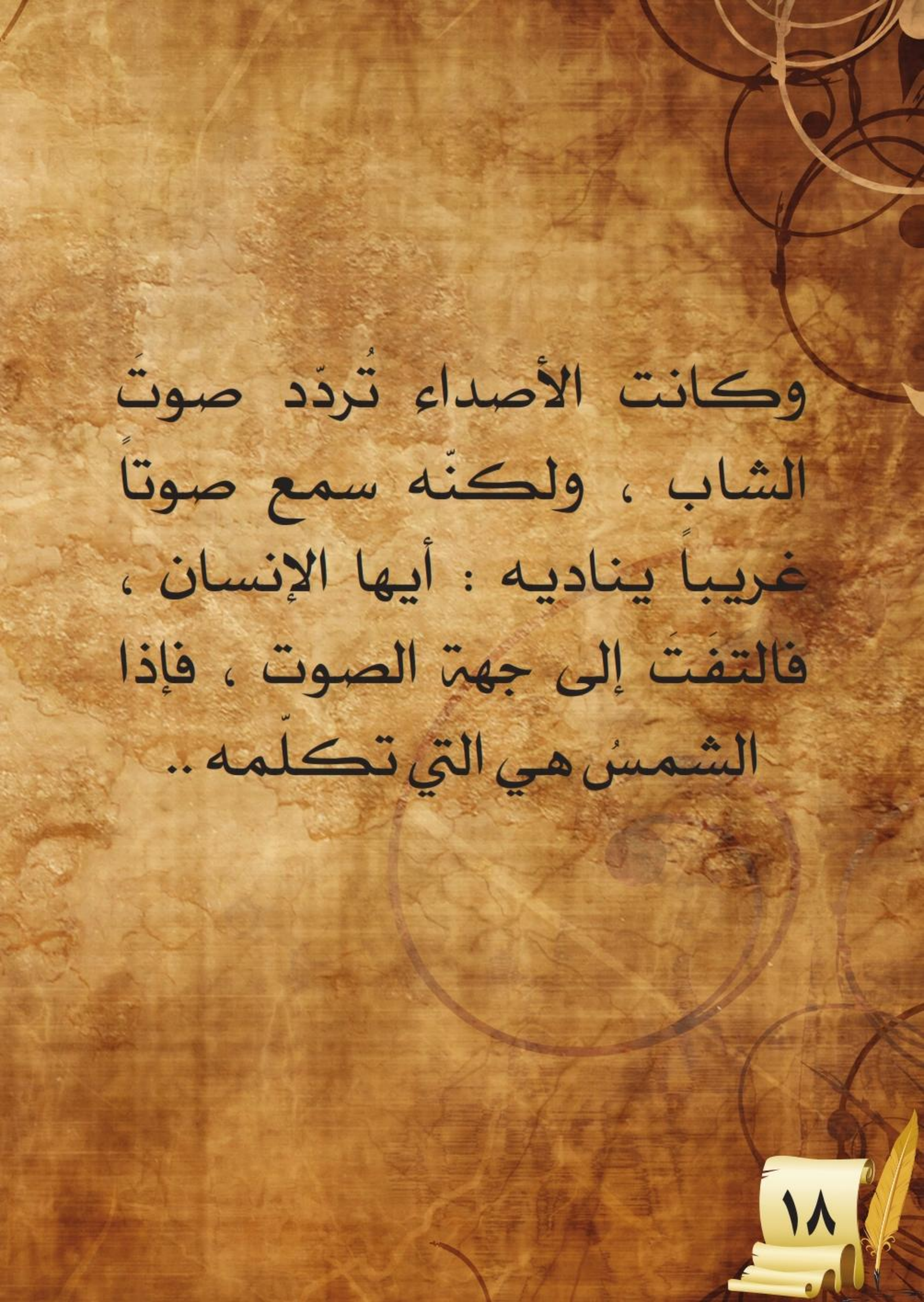
اغترَّ الشابُّ بقوّتِه إلى درجةٍ أصبحَ بعدَها يَعتدي على الحيوانات الوديعة والمفترسة، الضعيفة والقوية، فكان يُطاردُ الحيوانات، ويَنشرُ الخوفَ في رُبوع تلك الجزيرة .





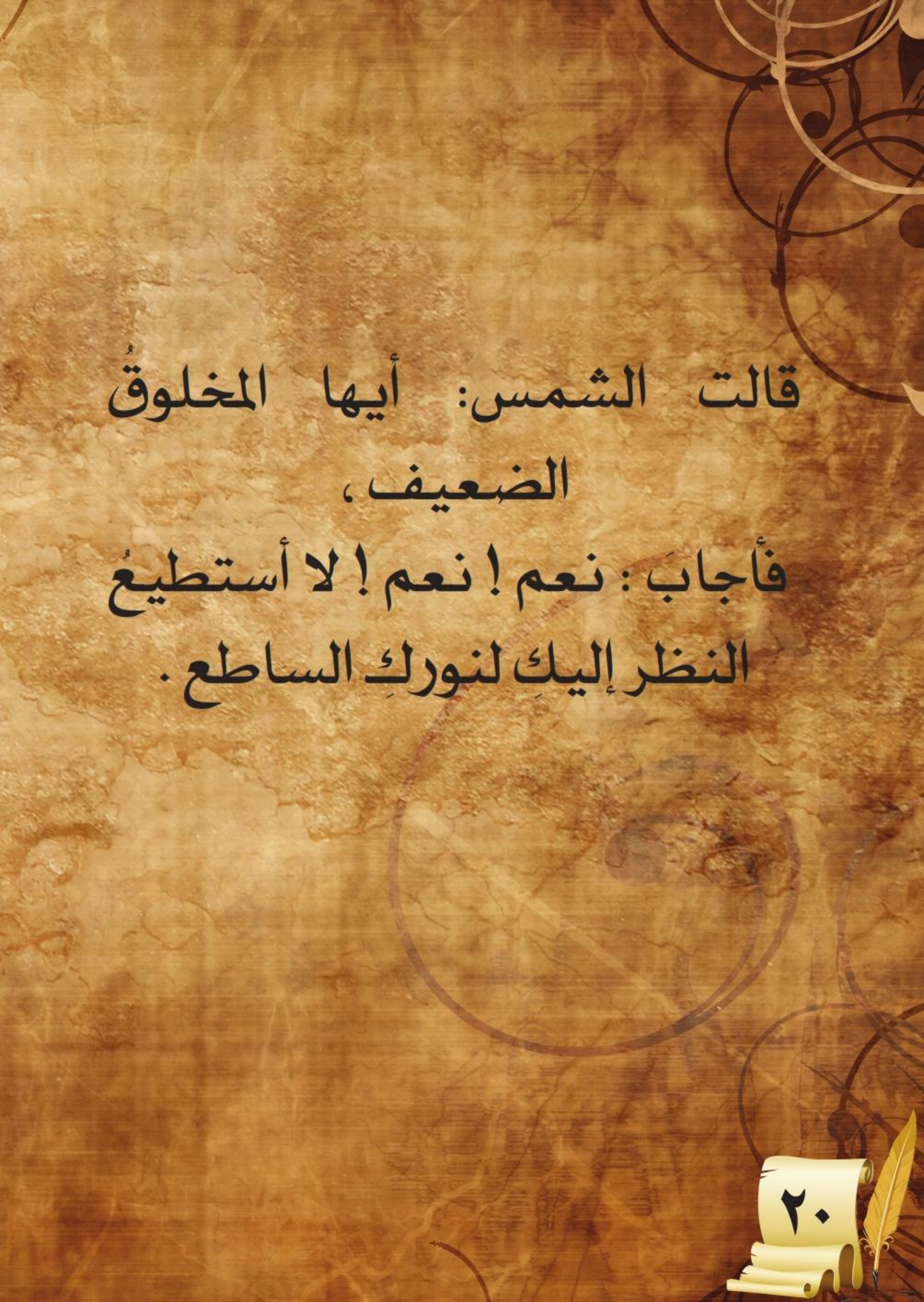
وذاتَ يوم وقف على صخرة
مرتفعة وهَتفَ بأعلى صوته :
أنا الإنسان الجبّار ، أنا القوي، أنا
الذي أصرَعُ الأسَد وأقتل النمر ،
أنا مَلِك الغابة وحاكمُ الجزيرة،
وسيّدُ الجميع





وكانت الأصداء تُردّد صوتَ الشاب ، ولكنّه سمع صوتاً غريباً يناديه : أيها الإنسان ، فالتفتَ إلى جهة الصوت ، فإذا الشمسُ هي التي تكلّمه ..





قالت الشمس: أيها المخلوقُ الضعيف،

فأجابَ: نعم! نعم! لا أستطيعُ النظر إليكِ لنوركِ الساطع.



وهنا تناولت الشمسُ غَيمةً صغيرة ناصعةَ البَياضِ وحجبت بها وجهها ، وبدأت تكلّمه : أيها الإنسان ، إنّك مخلوق ضعيف ، فلماذا تغترّ بقوّتك ، ولا تَشكر مَن مَنَحك هذه القوة ؟ أتدري لو أنّني اقتَربتُ منك لأحرَقتُكَ بحرارتي المُلتهبة ، ولو ابتَعَدتُ عنك لَمِتَّ من شدّةِ البرد ؟!



وفي الأثناء سَمع الشابُّ صوتاً يُناديه من أسفلِ الجبل، فإذا هو النهر.

قال: لماذا تَغترُّ بقوّتكَ أيها المخلوقُ الضعيف، ولا تَشكُر مَن مَنحَكَ نعمةَ الماء، فهل تَستطيعُ أن تعيشَ دونَ ماء؟ سوف تَموتُ مِن العطش والظمأ..

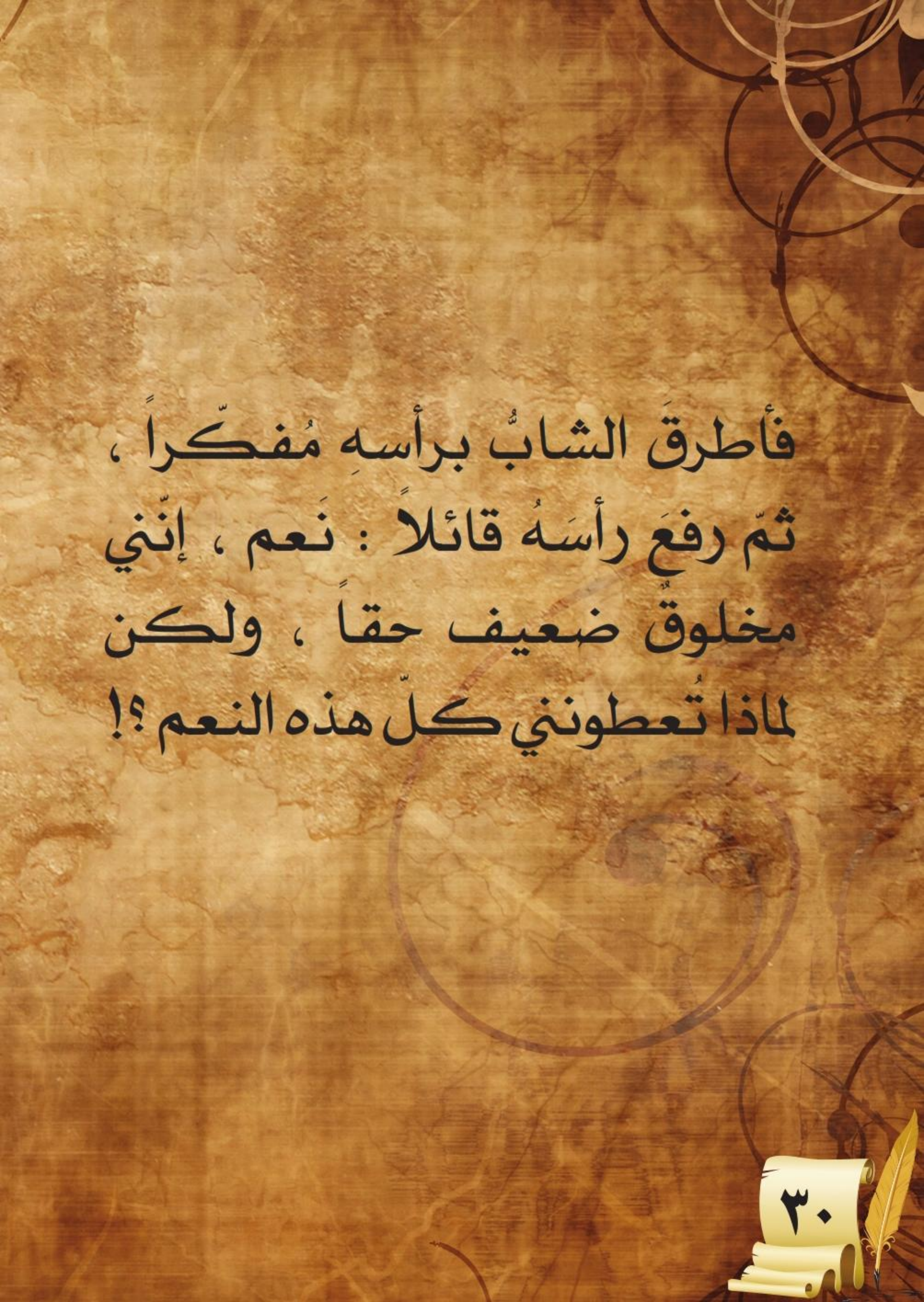


وهنا هَمسَ الهواءُ بأُذنه قائلاً :
لا تَكُن مَغروراً بقوّتك ، لو لم أدخُل صدرك لما استطعتَ أيها المخلوقُ الضعيفُ أن تعيشَ أكثرَ من لحظات ، فاشكُر مَن مَنحك هذه النعمة ..



فلم يَكد ينتهي الهواءُ من كلامهِ حتّى ثارت ثائرةُ البحر، وتلاطَمت أمواجُه العالية، وهَتَفت الأمواجُ قائلة: لقد سمعتُ كلامَك أيها المخلوقُ المَغرور، أنا الذي حَمَلتُكَ على ظهري وألقيتُ بك إلى الساحل ، وإلاّ لأصبحتَ طَعاماً للحِيتان ..





فأطرقَ الشابُّ برأسهِ مُفكّراً ،
ثمّ رفعَ رأسَهُ قائلاً : نَعم ، إنّني
مخلوقٌ ضعيف حقاً ، ولكن
لماذا تُعطونني كلّ هذه النعم ؟!



فأجابت الشمسُ ،الأشجار، النهرُ، الهواءُ والبحر: أجابوا جميعُهم بصوتٍ واحد: إنّ اللّه الذي خَلَقنا هو الذي سَخَّرنا لخدمتِكَ أيها الإنسان، فعليكَ أن تَشكُرَ اللّهِ على نِعَمِهِ وآلائه .



وهنا هوى الشابُّ ساجداً للّه الذي مَنَحه النِعم، ووهَبَ له كلَّ شيء وأفاضَ عليهِ البركات، فخاطبه الجميع: أحسَنتَ صُنعاً، الإنسان يجب أن يكون متواضعا للّه .




من وصايا لقمان عليه السلام لابنه
لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطاً
تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء..
وقال مكتوب في التوراة: كما تَرحمون تُرحمون.
وقال مكتوب في الحكمة: كما تزرعون تحصدون.
المصدر: كتاب البداية والنهاية لأبن كثير ج٢/ص١٥٢
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
زورونا www.aljawadain.org
راسلونا fikriya@aljawadain.org
الكاظمين الغيظ